اسم و لقب الأستاذ: وافيه حملاوي

المادة: مناهج دراسة الفلكلور

المستوى: أولى ماستر

التخصص: أدب حديث ومعاصر

المحاضرة السّادسة: المنهج الوظيفي

يهتم المنهج الوظيفي بالبحث عن معرفة دور العنصر الشّعبي في حياة النّاس الذّين يُمارِسُونه، والباحث الذّي يتبنّى هذا المنهج لا يسعى إلى المادة التاريخية بقدر ما يسعى إلى المادة الحية في المجتمع، وكيف تتغيّرُ وظيفة المُعتقد أو المادة، أو يتغيّر شكله، وفي هذه الحالة يعتمد على الميدان أساسا، وعلى الموردين أو المخبرين Les informateurs.

والفرق الجوهري بين هذا المنهج والمنهج التاريخي، هو أنّ هذا المنهج يركّز على ربط العلاقة بين العنصر الشّعبي (عادات، تقاليد ...) بالمجتمع الذّي يحمله، ودور هذا العنصر في الحياة الاجتماعية، ومن ثمَّ فإنّ هذا المنهج اجتماعي.

فالبحث عن وظيفة العناصر الشعبية شاق وعسير، يتطلّب دراسة المجتمع بكلّ مكوّناته، أو على الأصحّ، فإنه يقتضي ضرورة التّعرف على مدى تعبير هذه العناصر الفولكلورية عن العلاقات والقيم السّائدة في المجتمع، ومن ناحية أخرى دراسة العناصر الفولكلورية التّي تدخل في نسقٍ من الأنساق الاجتماعية التّي تُؤلف البناء الاجتماعي، ممّا يعني فهم المجتمع من زاوية فولكلورية بحتة.

يرى أصحاب المنهج الوظيفي أنّ العنصر الفولكلوري بمثابة العضو في الكائن الحيّ، موجود بسبب وظيفته، فلكي يُفسّر الفردُ أيّ عنصر، عليه أن يبحث في السّبب الذّي أوجده، والوظيفة التّي حقّقها، وعلينا أن نبحث عن العلاقة الموجودة بين العنصر الفولكلوري الذّي ندرسه، وبين الاحتياجات العامة للكائن الاجتماعي، ولا يهم إن كانت العلاقة بينهما قد وجدت عن عمد أم لا. إضافة إلى أنّه إذا لم يكن لهذا العنصر فائدته، فإنّه لن يستمرّ، إلّا إذا كان مُفيدا بطريقة أو بأخرى.

تُعدّ (الحرفة والصّناعة الشّعبية) من العناصر الفولكلورية التّي يتمّ التّعامل معها من زاوية وظيفتها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والنّفسية، حيث إنّها:

- توفّر لقمة العيش لشرائح معيّنة في المجتمع.
- توفّر فرص عمل لأفراد وجماعات في المجتمع.
- تُدِرُ دخلاً على المجتمع كله، بتشجيع السياحة ودعم الدخل السياحي.
- الإسهام في تحسين الوضع الاقتصادي للبلد.

1/ المنهج الوظيفي عند "ويليام باسكوم" W. Bascom:

يحدد "ويليام باسكوم"، أركان الدّراسة الوظيفية للفولكلور بثلاثة عناصر أساسية هي: (السياق الاجتماعي للفولكلور/ السّياق الثقافي للفولكلور/ وظائف الفولكلور).

أ-السّياق الاجتماعي للفولكلور:

يرى "باسكوم" أنّ "السّياق الاجتماعي" للتّراث الشّعبي ينصب على دراسة موقع تلك العناصر في الحياة اليومية لأولئك الذّين يتداولونها، ولابدّ من الإشارة إلى أنّ "باسكوم" في هذه النّقطة ينصبّ كلامه بالدّرجة الأولى على الأعمال الأدبية الشعبية.

ويركز على ضرورة تسجيل البنود التالية:

- متى وأين تتمّ رواية مختلف أشكال التّراث (الأدبي).
- من الذّي يقوم بروايتها، ومن هو الجمهور الذّي يستمع إليها.
- الأساليب والوسائل الدرامية التي يستخدمها الرّاوي: كالإيماءات وتعبيرات الوجه...
- مشاركة الجمهور للرّاوي من خلال: الضحك، التصفيق ، الانتقادات....
- أنواع التّراث الشّعبي التّي يعترف بها الشعب نفسه.
- اتّجاهات الناس نحو هذه الأنواع الشعبية.

ب – السّياق الثّقافي للفلكلور:

ويقصد به " باسكوم " العلاقة بين عناصر التّراث الشّعبي وبقية جوانب الثّقافة، وهو أكثر أهمية وأثقل وزنا من "السّياق الاجتماعي"، وهو يركّز على مشكلة جوهرية وهي: إلى أيّ حدّ تعكس عناصر التراث الشّعبّي - كاللّغة مثلا- ثقافة الجماعة، وتتضمّن أوصافا لتفاصيل الشّعائر الدّينية، والنّظم الاجتماعية، والأساليب التكنولوجية المستخدمة وتعبّر عن المعتقدات والاتّجاهات السّائدة في الثقافة.

ج - وظائف الفولكلور :

يمكن تلخيص ما أورده "باسكوم" حول الأدوار الوظيفية المتعدّدة التّي يلعبها التّراث الشّعبي فيما يلي: فالأمثال تُساعدُ على اتّخاذ القرارات القانونية، والفوازير تشحذُ الأذهان، والأساطير الخُرافية تُضفي شرعية على الممارسات السّلوكية، والأغاني تنفّس عن مشاعر العداء المكبوتة، وتأكيد بعض العادات والمحرّمات في نفوس الناس...

<u>2/ المنهج الوظيفي عند " مالينوفسكي":</u>

- يُعدّ "مالينوفسكي" أول رائد لـ: " المنهج الوظيفي"؛ حيث قدّم إسهاما كبيرا في ازدهار البحث الميداني الأنثروبولوجي، من خلال (الاهتمام) بالدّراسة الميدانية للظّواهر، وبالوقائع الملاحَظَة، حتّى أصبحتا (أيّ الدّراسة الميدانية والملاحظة) مِحَكّين أساسيين لصدق التصوّر النّظري لفكره.

- يرى " مالينوفسكي" أنّ الكائنات البشرية لديها حاجات بيولوجية لابدّ أن تُشبَع، وأنّ أيّ سلوك - بما فيه العناصر الفولكلورية - يجب أن يُنظَرَ إليه من حيث أوجه الإشباع التّي يقدّمها لتلك الحاجات.

كما ينظر إلى الثّقافة على أنّها جهازٌ وظيفتُه الإسهام في تكيُّفِ الإنسان وإشباع حاجاته البيولوجية، ومواجهة المشكلات التّي تقابله في البيئة المحيطة به أثناء تحقيق تلك الحاجات.

- إنّ كلَّ إنجاز ثقافي لابدّ أن يشير إلى إشباع حاجة "جسمية"، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر. ومن هنا كانت نظريته في الحاجات تتضمّن وجود احتياجات بيولوجية أساسية، وأخرى ترتبط ارتباطا وثيقا بها، وتعتمد عليها، وتظهر مع بداية أيّ نشاط ثقافي؛ فإذا كان هناك احتياج للتّغذية، فإنّ الإنسان يحتاجُ في الآن ذاته إلى احتياجات: تكنولوجية واقتصادية وقانونية وأيضا سحرية ودينية وأخلاقية.

يوضح الجدول التّالي تلك الحاجات واستجاباتها:

	1	2	3	4	5	6	7
الاحتياجات البيولوجية	غذائية	تناسلية	الراحة	الأمن	الحركة	النمو	الصحة
استجاباتها الثقافية	نظام للتموين الغذائي	نسق القرابة	المأوى	وسائل الحماية	الأنشطة المختلفة	التربية	وسائل حفظ الصحة

إنّ هذه الاستجابات الثّقافية تؤدّي أيضًا إلى مجموعة من الاحتياجات الثانوية ذات الطبيعة الثقافية التّي تشترك أيضا بين كافة أفراد البشر:

- النسق الاقتصادي.
- نسق الضبط الاجتماعي.
- نسق التربية.
- نسق النّظام السّياسي (السّلطة).